وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

التاريخ الدولة العربية الاسلامية

في العصر الاموي

الفصل الثاني

المحاضرة السابعة

اولا: المعارضة للسلطة الاموية

ثانياً : ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

استاذ المادة :
أ.م.د. زياد علي عبدالله

اولا: المعارضة للسلطة الاموية

شغلت الدولة الأموية في التاريخ الإسلامى إحدى وتسعين سنة ٤١ - ١٣٢هـ)، وامتدت حدودها من حدود (الصين) شرقًا إلى (الأندلس) غربًا، ومن بحر (قزوين) شمالا إلى المحيط الهندى) جنوبًا، وعمل خلفاؤها في جد ومثابرة وحسن سياسة على نشر الإسلام تلك الرقعة الكبيرة، ونمت الحضارة الإسلامية ونهضت فى عهدهم. وهذه الأعمال تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، وتخفف كثيرًا من النقد الذي وجه إليهم، ولكن كل هذا الانجاز والأعمال الجليلة التي قاموا بها، فهم يصارعون أعداء أشداء من تيارات دينية وسياسية مختلفة ، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها ويمكن حصر التيارات بالآتي :

١- تيار ديني يتَّهم (بني أمية بالخروج على الدين وقواعده، وأنهم مغتصبون للسلطة.
٢- تيار أعلن التمرد والثورة على بني أمية لأهداف شخصية، ولتحقيق طموحات ذاتية والوصول إلى الحكم بأي ثمن.

إن السياسة الخاطئة في اختيار الولاة قد تولد اتجاه معاكس وهو الحركات المعارضة وعلاقتها بالعلماء في رد المظالم ، ورفع المظالم عن الموالي وأهل الذمة وإقامة العدل كالحرية الفكرية والعقدية والسياسية والشخصية وحرية التجارة والكسب ". وقد كان لافتاً مدى تأثير المعارضة التي أبدتها الحركات الرافضة للخلافة الأموية، وشدة الإصرار على مواصلة مسيرة المقاومة التي نذرت لها خيرة قادتها وأبنائها، والتي تطورت بشكل كبير في المراحل الأولى لنشوء الخلاف ، مما تسبب في سلسلة من الأزمات الحادة والعنيفة بينها وبين السلطة

ثانياً : ثورة الإمام الحسين عليه السلام

هو الحسين السبط (٤ - ٦١ هـ - ٦٢٥ - ٦٨٠ م) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء، وفي الحديث: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين. وتعد نهضته ثورة مقدسة في التاريخ، ومن الضروري الوقوف عليها ومعرفة جذورها، وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان عمد لفعل مخالف للشورى وللسنن التي سبقته، بينما يراها هو أسلوباً جديداً في الاختيار سيحمي الفتنة، إلا أن توقعاته لم يكتب لها النجاح حيث اندلعت ثورة الحسين

عليه السلام ومن بعده ابن الزبير وغيرهم ضد هذا الاختيار ورفضهم البيعة ليزيد، لأن خلافته لم تتم على أساس الشورى، فكره البعض بيعته ... فلما مات معاوية، وخلفه ابنه يزيد تخلف الحسين عليه السلام عن مبايعته ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهرا، ورأى الامام الحسين في محاولة معاوية توريث الحكم من بعده لابنه يزيد مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم، ومع ذلك فإنه لم يهتم بالخروج على معاوية، نظراً لمبايعته له بالخلافة، فظل على عهده والتزامه، ولكن بعد وفاة معاوية تغير الموقف، فالحسين عليه السلام لم يعد في عنقه بيعة توجب عليه السمع والطاعة، ويدل على ذلك محاولة والي المدينة الوليد بن عتبة أخذ البيعة من الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير وخروجهما بعد ذلك إلى مكة دون أن يأخذ بيعتهما. موقف الحسين عليه السلام من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير والسبب في ذلك حرصهما على مبدأ الشورى وأن يتولى الأمة أصلحها وهنالك الكثير ممن هو أحق وأصلح للخلافة منه ، ولقد كانت معاناة اهل العراق من حكم العراق سبباً في ضيقهم الشديد من اعتلاء يزيد سدة الحكم، لذلك لما علموا ان الحسين بن علي رفض بيعة يزيد تنادوا الى تشكيل جبهة معارضة ، ثم استدعوا الحسين الى الكوفة ،ليبايعوه، وقد حددوا موقفهم السياسي وهو خلع يزيد، ورفض الاعتراف بالنظام الوراثي الذي اضحى أمراً واقعاً بعد اعلان خلافته .

وتلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين وابن الزبير، قد عبرت عن نفسها بشكل عملي فيما بعد ، فالحسين عليه السلام كان معارضاً للصلح، والذي حمله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن بن علي عليه السلام ، ثم أن الحسين بن علي استمر على صلاته بأهل الكوفة وقد كان يعدهم بالمعارضة ولكن بعد وفاة معاوية، والدليل على ذلك أنه بمجرد وفاة معاوية سارع زعماء الكوفة بالكتابة إلى الحسين وطلبوا منه المسير إليهم على وجه السرعة، ومن الأسباب التي أدت إلى خروج الامام الحسين عليه السلام

١- هو إرادة الله عز وجل وأن ما قدره سيكون وإن أجمع الناس كلهم على رده فسينفذه الله، لا راد لحكمه ولا لقضاءه سبحانه وتعالى
٢- قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي.
٣- عدم التزام معاوية بشروط الحسن في الصلح والتي من ضمنها ما ذكره ابن حجر الهيثمي .. بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

وأدرك الامام الحسين عليه السلام حجم الاخطار على حاضر الإسلام ومستقبله متمثلا في الطريقة التى ملك بها يزيد أزمة الحكم، والطريقة التي يصرف بها شئون الناس وإنه لأمر. مستكره أن يكون على قمة السلطة في بلاد الإسلام شاب ماجن خليع. والأمة الإسلامية تفقد أجل خصائصها عندما تسكت على هذا الوضع بل إنها ما تستحق أن تبقى مع استقراره... فكانت ثورة الحسين عليه السلام حركة يثبت بها الإيمان وجوده ، ويجدد بها حياته، ويرضي بها ربه ! بل إن هذه الحركة لم يكن منها بد لإعطاء المثل الرفيعة طاقة تسير بها بعدما كادت تقف . وكأن أولي الألباب يتفقون على أن مقاومة يزيد دين، ولكنهم يريدون أن تكون خطة الثورة ذكية بقدر ما هي جريئة وإلا فإن الحاكم المستبد سيشرد برجالها من خلفهم وهذا ما حدث فعلا للامام الحسين عليه السلام في مخرجه أيام يزيد وتعرضه وأهل بيته للحتوف كما أنه لم يقم أنصار الحسين عليه السلام بأي ثورة ضد معاوية بن أبي سفيان»، طوال مدة خلافته ٤١ - ٦٠هـ)، وإنما اندلعت أولى ثوراتهم بقيادة الامام الحسين عليه السلام في خلافة يزيد بن معاوية»، بعد أن رفض «الحسين» بيعة «يزيد»، وكان قد رفض من قبل تعيينه وليا للعهد في زمن أبيه.

اعتصم «الحسين» بمكة المكرمة، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، فقد توالت رسائل ورسل أهل العراق على الحسين عليه السلام تفيض حماسة وعطفا وقالوا له إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا ، وتحت إلحاحهم استجاب الإمام الحسين عليه السلام وقرر الذهاب إليهم على الرغم من تحذير «ابن عباس» - وهو من أقرب الناس إليه - من الذهاب إلى «العراق»، لأنها دعوة من لا أمان أو عهد لهم، وقد خذل أهل العراق أباه من قبل، واقترح عليه ابن عباس ان هو اصر على الخروج الى الكوفة ان لا يذهب اليها حتى يثور اهلها على اميرهم ويطردوه وبذلك يصبحون ملتزمين بالعمل الى جانبه كما نصحه بان يذهب الى اليمن فيتحصن بقلاعها وشعابها ويحتمي بشيعة والده فيها. لكنه أصر على الذهاب فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل اليستطلع الموقف ، فخرج مسلم في شوال سنة ٦٠هـ الموافق تموز عام ٦٨٠م . وما أن علم أهل العراق بوصوله الى الكوفة حتى جاءوه ، فاستقبله الناس بحماس شديد ، وبحفاوة بالغة، فأخذ منهم البيعة للحسين، فقيل بايعه اثني عشر) ثم أرسل إلى الحسين ببيعة أهل الكوفة وأن الأمر على ما يرام. وقيل : بايعه منهم نحو ثمانية عشر ألفًا، فانخدع بهم بعد أن تغافل النعمان بن بشير » والي «الكوفة» عنه، فكتب إلى الإمام «الحسين» يطمئنه، ويطلب منه الحضور إلى «الكوفة». ومما كتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الأمويين. فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه

ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله ولما علم «يزيد» بما فعله «مسلم» في «الكوفة»، اضطر إلى عزل النعمان بن بشير» عن ولايتها لتغاضيه عما يقوم به «مسلم»، وولى مكانه «عبيدالله بن زياد»، وعلم عبيد الله عن طريق ،جواسيسه ان مسلما يقيم بدار هانئ فاستدعاه وطلب منه تسليمه اياه فامتنع عن ذلك، عندئذ قبض عليه وسجنه . واقام في الوقت نفسه الحراس حول الكوفة ليراقب حركة الدخول اليها والخروج منها وهذا يعني ان الادارة الأموية علمت بامر الحركة وكانت على بينة بمغادرة الحسين للحجاز في طريقه الى الكوفة. وعندما علم مسلم بسجن هانئ دعا من بايعه من أهل الكوفة حتى اذا تجمعوا لديه تقدم بهم الى قصر الامارة وحاصره فارسل اليهم عبيد الله يخوفهم المعصية ويهددهم بالعذاب، فتفرقوا عنه. فلما الفي نفسه وحيدا اختفى في احد دور بني جبلة من كندة لكن وشي به لدى الوالي الذي القى القبض عليه وقتله كما قتل هانئ ابن عروة. وقد وافق يزيد على هذا التصرف وكتب الى واليه رسالة يقول فيها: بلغني ان الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن وخذ على التهمة، غير الا تقتل الا من قاتلك". وأصدر تعليماته الى عبيد الله بن زياد بعدم مقاتلة الحسين الا اذا بداه بقتال تثبت هذه الرسالة بشكل واضح امر الخليفة لعبيد الله بن زياد في ان لا يقاتل الحسين وأصحابه الا اذا قاتلوه فحضر ابن زياد على الفور، وقضى على المعارضة، وقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، الذي استضافه في داره بعد أن انفضت عنه الآلاف التى تجمعت حوله من أهل وفي أثناء هذه الأحداث المتلاحقة كان «الكوفة»، وتركوه يلقى مصرعه وحده «الحسين» عليه السلام في طريقه إلى «الكوفة»، فقابله في الطريق الشاعر المعروف (الفرزدق) فسأله الامام عن خبر الناس ، فقال : (قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل مايشاء) وسار الامام في طريقه ولم يعبأ بما أشار اليه الفرزدق من الخطر الذي ينتظره في العراق . ومضى في طريقه فلما وصلته أخبار «مسلم»، وتخاذل الكوفيين عنه ، وأخبره بذلك رجل عائد من الكوفة يقال له بكير بن ثعلبة وعلم منه أن الجو قد تغير في الكوفة ، وأن المؤيدين للحسين قد ابتعدوا عن تأييده وتخاذلوا عن نصرته أمام بطش عبيد الله بن زياد وقوته، وأن مسلم بن عقيل قد قتل ولم يعد للحسين بالكوفة قوة ولا مؤيد، فقرر العودة إلى «مكة»، لكن إخوة «مسلم» أصروا على مواصلة السير، طلبا لثأر أخيهم، فلم يجد «الحسين» بدا من مطاوعتهم، وكان هذا من تقدير الله عزوجل، فالذي قتل «مسلم» دولة لا فرد ، وليس في استطاعتهم - وهم قلة في عددهم

التصدى للدولة، فقد كانوا نحو سبعين رجلا واصل الإمام «الحسين» سيره حتى بلغ كربلاء» بالقرب من الكوفة»، وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا كبيرًا في انتظاره بقيادة «عمر بن سعد

بن أبي وقاص» يزيد عدده عمًّا معه من أفراد بنحو خمسين مرة، وعسكرت القوتان دون تكافؤ بينهما في القوة ، فعرض الإمام «الحسين» على «عمر بن سعد» ثلاثة احلول للخروج من هذا المأزق، إما أن يتركه يعود إلى «مكة»، وإما أن يتركه يذهب إلى ثغر من ثغور الإسلام فيجاهد في سبيل الله وإما أن يدعه يذهب إلى دمشق» لمقابلة «يزيد بن معاوية» في دمشق ويحاوره ويرى فيه رأيه وكانت هذه المبادرة من الإمام «الحسين» عليه السلام بمثابة خارطة طريق لإنهاء الأزمة؛ وسُرَّ بهذه الخطوة «عمر بن سعد»، لأنه لم يكن راغبا في مواجهة «الحسين»، لولا تهديد ابن زياد له بالقتل ، وكان يصلي هو وجنده خلف الامام الحسين، ولكن عليه أن يستشير عبيد الله بن زياد»، فهو الوالي وصاحب القرار، فرحب بالفكرة لأول وهلة، لأن فيها حقن الدماء، وبخاصة دم «الحسين» حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير أن شيطانا من شياطين الإنس يُدعى «شمر بن ذي الجوش». أشار على ابن زياد ألا يقبل من «الحسين» إلا أن يسلّم نفسه باعتباره أسير حرب، وأن يرسله بهذه الصفة إلى يزيد بن معاوية» في «دمشق» ، فقال لابن زياد : (أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك ؟ .. والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ، ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن. ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولي العقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك) فصدرت أوامر الوالي (عبيد الله بن زياد تقضي باستسلام الحسين دون أي قيد أو شرط واما القتال، ولا مجال لحل اخر، وهذا تعد ظالم وخطأ فاحش من ابن زياد.. فكان من الطبيعي أن يرفض الإمام الحسين » هذا الطلب، فالموت عنده أهون عليه من هذا كما قال هو نفسه، ولو أن مشركًا أو ذميا كان فى مكان «الحسين»، وعرض عليهم هذه الحلول السلمية لكان عليهم قبولها ، لكن ابن زياد خضع لهذه الفكرة الشيطانية، ورفض الإمام «الحسين» تسليم نفسه أسير حرب، فدارت معركة غير متكافئة بين الفريقين في «كربلاء» ، فنشب قتال عنيف بين الطرفين خلد التاريخ مواقف البطولة التي وقفها أنصار الحسين عليه السلام فلقد طلب إليهم أن يتركوه ويلتمسوا سبيلا الى النجاة ، فأنكروا عليه ذلك ووقفوا الى جانبه يجودون بأرواحهم بين يديه واحدا بعد واحد ولكن لا يسقط الواحد منهم الا وهو مقبل غير مدبر ، فقد بذل قوته ، وأبرأ امام الله عزوجل ذمته ، وهكذا ظلوا يتساقطون بين يديه حتى بقي وحده ومع ذلك لم يستسلم لأعدائه بل حمل سيفه وقاتل راجلا قتال الفارس الشجاع فأصيب الإمام الحسين عليه السلام فيه بجراح شديدة ، وقد قتل من جيش ابن زياد سبعة وثمانون ، فقتله سنان بن انس النخعي، وقيل: الشمر بن ذي الجوشن ، عليهم غضب الله ولعنته الى يوم الدين في يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة (٦١هـ) الموافق شهر تشرين الأول سنة ٦٨٠م ، استُشْهِد فيها «الحسين»، رضى الله عنه،

وكان عمره عند مقتله السابعة والخمسين من عمره، وقتل من كان معه من أهل بيته ولم ينج من القتل من انصاره الا خمسة وهم : ابنة «على» الملقب بزين العابدين عليه السلام وكان مريضا ولم يحضر المعركة ، وعمته زينب بنت علي وأخوه الاصغر عمر وأختاه فاطمة وسكينة. وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة (الأمويين) فتظاهر يزيد بالحزن عليه، وقيل: انه استاء من مقتل الحسين ، وقال : (كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ولكن لعن الله ابن سمية يريد عبيد الله بن زياد - أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه). ولكنه في اطمان لإزاحة منافس شديد الوطأة، ولم يعاقب واليه عبيد الله بن زياد الذي خرج عن طاعته، مظهراً تناقضاً بين ما تحدث به وبين فـ فعله.

واختلفوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس الشريف، فقيل : في دمشق، وقيل: في كربلاء، مع الجسد الشريف، وقيل فى مكان آخر، فتعددت المراقد والله أعلم بالصواب. وكانت نتيجة المعركة مأساة مروعة ، أدمت قلوب المسلمين جميعًا حزنًا على «الحسين»، ريحانة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، كما كانت سببًا من أسباب زوال الدولة الأموية، وامتد أثرها في تفريق كلمة المسلمين إلى يومنا هذا . ولاشك أن مسئولية دم «الحسين» تقع في المقام الأول على أهل الكوفة الذين أخرجوه ثم خذلوه، ولذلك يروى أن آخر جملة قالها الإمام الحسين عليه السلام قبل وفاته: «اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا»، ثم على «عبيدالله بن زياد الأمر المباشر بقتاله، ثم على يزيد بن أبي سفيان» وإن قيل : إنه لم يأمر بقتل «الحسين»، ولم يسعد بذلك ، ، فإن هذا لا يعفيه من المسؤولية ، لإنه كان يجب أن تكون أوامره صريحة بعدم قتال «الحسين» لأن ذلك انتهاك لحرمة الدين وحرمة صلى الله عليه وسلم كما أن أباه «معاوية» قد أوصاه بذلك وحذره كما في بعض الروايات. وللفيلسوف الألماني (ماربين) كتاب سماه (السياسة الاسلامية) أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين، وعد مسيره إلى الكوفة بنسائه وأطفاله سيرا الى الموت، ليكون مقتله ذكرى دموية لشيعته، ينتقمون بها من بني أمية، وقال: لم يذكر لنا التاريخ رجلا ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إحياء لدولة سلبت منهج إلا الحسين ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الامويين الواسع ويقلقل أركان سلطانهم وكان نقش خاتمه الله بالغ أمره).